رمزية اللون الأسود في ديوان أنشودة المطر لبدر شاكر السياب

ثري طه مصطفى اسماعيل
جامعة راثرين / كلية التربية الأساس

تاريخ استلام البحث : ١٦ / ١ / ٢٠١٧ تاريخ نشر البحث :١٨ / ٥ / ٢٠١٧

الملخص

لقد زرعت الألوان بخطوطها عالما ملونا نعيش فيه، لأننا ندرك بها – بالألوان– الحياة ونشعر بجماليتها، لأنها تزرع في أذهاننا أحلاما تلمع حينا وتصبح لوحة سوداء تارة أخرى. ولذلك تتجلى أهمية الألوان في حضورها في لـون الملابـس، الجدران، الحلي، المشاعر؛ فهي الهيأة التي تقع عليها البصيرة في كل مكان؛ كما أن الأقوام القدامى شاركوا في تثبيت بصماتهم وانطباعاتهم تجاه كل لون نتيجة أهمية الألوان. نظرا لذلك فإن لها الوجود المستمر داخل القصائد عند الشعراء وبدرجات متفاوتة، ويلحق السياب بصماته في حضورٍ واسعٍ للألوان في نتاجه الشعري.

كما أن البحث عقد العلاقة بين الألوان وتقنية الرمز من خلال تدقيق النظر إلى استعمال الألوان عن طريق اللامباشرة، أي التمعن في النصوص التي شاركت فيها الألوان مواتية مع الرمز. و اكتفت الدراسة باللون الأسود ليرافق المعاني المتنوعة له خلف ستار الرمز، و الذي طالما عرض عن طريق المعارضة مع اللون الأبيض لتشكيل ثنائية متضادة مع هذا اللون.

وخلال البحث حاولنا الإنضمام إلى ديوان أنشودة المطر لبدر شاكر السياب؛ لأنه يعد مادة واسعة لتوفر الحالات المتعددة للون الأسود. سار البحث على خطة في رحابها ملخص ومقدمة ومحورين، واجه المحور الأول الرمز اللوني الزماني كالليل والدجى والظلمة، وفيما تناول المحور الثاني الرمز اللوني المكاني والذي يتمثل في القبر والكهف والسجن، كما انتهى البحث بالخاتمة ولائحة المصادر والمراجع.

المقدمة

عند إطلالة يوم جديد نشعر بوجود ألوان تشارك الحياة، بل الطبيعة معدومة المداومة بدونها؛ لأن انعدام الألوان يساوي عندها – الطبيعة– الزوال. نظرا لذلك فهي مكمن الاهتمام لأنه دائم الحضور، إذ هي الهيئة التي لا تغيب عنا طوال الحياة، بل هي الصديق الذي يرشدنا إلى الأشياء وأنواعها عبر العين لتميز بين أنواع الألوان ودرجاتها.

أما اختيار اللون دون سواه فهو نمط شخصي يرجع إلى الآثار النفسية التي يبعثها لون محدد دون سواه نتيجة تأثيره على الفرد، لأن كل لون يمتلك دلالات تختلف عن لون آخر. وعند التطرق إلى مجال الرمز فإن الأفكار تتعدد في رحابه، إذ إنه يتجاوز نطاق الأساليب السهلة العادية؛ ولا يستطيع أن يمر به إلا الشاعر الحذق الفطن؛ و ليس بوسع كل قارئ أن يرفع الوجه المحجوب منه، بل فكه وحله يحتاج جهدا ومتابعة والتعمق والغور وراء السطور، ويحتاج البحث عن المعنى الثاني والترفع عن المستوى السطحي للمفردة؛ لذلك يؤسس الرمز على طريقة تداعي الصور، ويتوسع فضاؤه ليعزف على طرح ما يريده الشاعر مما يحمله من

آراء ومشاعر. فقد يشكل منه لوحة غامضة يستعصى تفسيرها، و لطالما تحولت الرموز إلى معادلة فلسفية وعلامات تعمم على هندسة النص.

إن اللجوء إلى استخدام اسلوب الرمز دون سواه يرجع إلى الأسلوب الشخصي للأديب، ومن دواعي استعمال الرموز هي أنها تغطي جسد القصيدة وتعطيها جمالية عالية بسبب تعدد الصور والأساليب، و لربما يلجأ إليها الشاعر لكي يحقق هدفا سياسيا، اجتماعيا، شخصيا وراء ذلك؛ وجاء اللون ليقوي مستوي الرمز ويكملان الهدف وراء الرمز واللون ليشكلا طريقة للتصوير ووصف الحالة الذهنية التي ينسج الشاعر خلاله أفكاره وحفاظا على المستوى الأدائي الجميل واختزال المعاني وراءهما.

و يتم دمج اسلوب الرمز مع تقنية الألوان ليعملا على تحقيق جمالية مبثوثة في السطور، و لكي يخلق المجال للقارئ التمعن والتذوق في النص أكثر؛ لأنهما – اللون والرمز– يتعانقان ويساعدان بعضهما بعضا لتكملة مهمة تجسيد القصيدة في قوالب فنية رائعة يحبذ عرضه ومشاهدته من لدن المقابل في أحسن وأكمل وجه؛ لذلك دراسة المفردة اللونية مع الرموز أمر لا يستغرب منه المخاطب؛ لأن الألوان قادرة على استنطاق الطاقات التعبيرية للقصيدة وإظهار الجوانب الباطنية والظلال غير المكشوفة في النتاج الأدبي.

ولكل هذه الأسباب تم اختيار الموضوع وتحديده لاستكشاف التعابير الرمزية وراء اللون، وانتهى العنوان إلى (رمزية اللون الأسود في ديوان أنشودة المطر لبدر شاكر السياب). كما ظهر أن مجرى العنوان توجه نحو اللون الأسود فحسب؛ لأننا حاولنا التركيز على اللون الأسود مع الإشارة إلى وظيفة هذا اللون، وعرض ما يدور حوله من الرموز التي بعثرها بدر شاكر السياب في ثورة (أنشودة المطر) سيرا على خطوط السياب الرمزية داخل اللون الأسود، الذي عاش طوال حياته مع الشاعر ولا يبتعد عنه ولا للحظات نزرة. فانطبعت الدلالات التشاؤمية السلبية على شخصية النصوص، أي أن اللون الأسود يعمم بؤرة التشاؤم والقلق على نفسية السياب؛ لذلك فإن اختيار الرمز اللوني للون الأسود لا يخلو من تسجيل جمالية شعرية للنصوص المكتوبة في ديوان أنشودة المطر؛ إذ أنه أصبح مطرا يمطر فيه الأمنيات المدفونة للشاعر بل في حالات للشعب العراقي كله.

و تضع هذه الدراسة بصماتها على الدراسات اللونية، حيث تبحث عن أدبية الألوان وتبرز وظيفتها الرمزية وتحدد موقع المفردة اللونية الغير مباشرة التي توحي إلى اللون الأسود، وتستنطق طاقاتها الرمزية ضمن الإنضمام إلى اللون الأسود؛ وبوسعنا الإشارة هنا إلى وجود بحثين آخرين قد درسوا حضور الألوان في ديوان (أنشودة المطر)* ؛ تناول البحث الأول دلالات الصريحة في هذا الديوان واشترك في الدراسة الألوان المتعددة تحت عنوان (دلالات اللون في شعر بدر شاكر السياب . ديوان أنشودة المطر نموذجا)، أما الثانية فمقالة تحت عنوان (دراسة نقدية لعنصر اللون في أشعار بدر شاكر السياب/ الأسود والأبيض نموذجا) و التي احتوت جميع دواوين السياب ،

كما أن عمل البحث يختصر في الركض بين الأسود والأبيض كمفردتين لونيتين صريحتين مع التركيز على الدلالات المباشرة الموجودة فيهما وتطبيق فكرة التضاد عليهما، و لم يحرم البحث نفسه من تناول الإيحاءات والرموز المخفية داخل لفظة (الأسود والأبيض) في بعض الشواهد، لكن يبقى البحث يدور حول الأبيض والأسود كحضور صريح داخل الأبيات، أما بحثنا هذا فاستقام على دراسة اللون الأسود فقط كمفردة غير صريحة، حيث حددنا موقع اللون الأسود خلال الوحدات اللونية التي تخرج منه السواد من (الليل، الظلمة،

الدجى، القبر...ألخ)، مع الدنو من المعاني الرمزية وراءها دون الإقتراب من المعاني الصريحة والدلالات المباشرة للون الأسود.

إن موضوع البحث قد وزع إلى ملخص يجمع فكرة الدراسة، يتبعه المقدمة التي تتمثل في طرح وجهة نظر البحث وهدفه، أما الجانب التطبيقي في البحث فالتمس محورين، المحور الأول: تناول الرمز اللوني الزماني لتوضيح تأثير هذا الرمز (اللون الأسود) وكيفية استخدامه في المفردات اللونية مثل (الليل، الظلمة، الدجى، الغسق، العتمة)، وتكمل الموضوع مشواره في بناء المحور الثاني ليشمل الرمز اللوني المكاني متمثلا بـ (القبر، الظل، اللحد، السجن، الكهف)، فيما يختم البحث بأهم النتائج مع عرض المصادر والمراجع التي استفاد منها، وأخيرا نرجو من الله أن يهدينا إلى الصواب.

المحور الأول: الرمز اللوني الزماني:

إن الزمن الأدبي غير خاضع للأزمنة الثلاثة (الماضي والآنية والمستقبل)، بل يتم تحويلها إلى جسد يتابعه الحالات النفسية؛ ولا يزال الشاعر يرى نفسه مقيدا بذكريات أكل الدهر عليه وشرب في حالة ذهابه بعيدا لكي يتنفس في أجواء قد تأيته في المستقبل. فهذه الحالات تتحول في القصيدة إلى قالب متحرك؛ إذ كان الشاعر في وسعه إحياء الماضي واستخدامه في حالة نفسية سيئة أو جيدة ليتعايش معها في الوقت الحاضر، أو قد يتنبأ بوجود مستقبل بائس خلال التعايش مع لوحة تذكارية رسمت في الماضي، إذن يمكننا القول بأن الأزمان كانت سلسلة نفسية يحولها الشاعر كيفما أراد تشكيل الصور في النص الأدبي.

أما الأزمنة فتتعدد أشكالها في الإستخدام غير أننا قد اكتفينا بالتي ترمز للون الأسود من (الليل، الظلام، الدجى، الغسق، العتمة)، لتحمل كل منها مدلولا لونيا رمزيا مختلفا عن الآخر، على الرغم من أن الذي يجمع بينهم هو اللون الأسود لكن كل منهم يتميز بحضور خاص في المشهد المرسوم؛ حيث يجب إدراك فاعلية الرمز وقوة تشكله في القصيدة بوصفه جزءا جوهريا وعميقا من باطنية التجربة، وليس فعلا ترفيا خارجيا يحمل القصيدة عبء التراكم اللغوي المجرد[١]، لتكملة المهمة الرمز التي تتمخض في أداء معان مختلفة في مفردة واحدة وعبارة محددة. ولم يبخل السياب بتوزيع الألوان وإظهار تأثرها على الأحداث ليثبت بصماته حيث نقرأ انطباعاته السوداوية تجاه الزمن، "ولكن يبدو متناقضا في مفهومه للوقت وتحدده للأزمنة، فلا هو محاصر بالماضي إحياء له أو افتخارابه ولا هو شاعر مستقبلي يوجه طاقاته لخلق عالم جديد،

إلا إنه حاول أن يعبر عن تكثيف فكري رائع، ويدرك معنى المعاصرة ويسهم في روح التحول والتغيير وبحث عن زمنية جديدة أراد أن يرسم لها حدودا وأبعادا"[٢].فضلا عن أن الألوان أسهمت في نسيج الصياغة الشعرية، وشكلت كثيرا من الصور التي تتصل بالمكان والزمان والسلاح والخمرة وغيرها، فقد انزاحت الألوان في كثير من الأحيان عن دلالاتها اللونية المباشرة؛ لتكتسب إشارات أخرى من خلال غرسها في تراكيب معينة[٣].

ففي أول وهلة حين وصل السياب لوقت الظلام يصنع في ذهن الشاعر صورا متعددة، حيث يقول:[٤]

هي وجه أمي في الظلام

وصوتها يتزلقان مع الرؤى حتى أنام؛

وهي النخيل أخاف منه إذا ادلهم مع الغروب

فاكتظ بالأشباح تخطف كل طفل لا يؤوب
من الدروب؛

إن المقطع في حالة الربط بين وجه الحبيبة أو (وجه العراق) ووقت الظلام، وهذا التشبية يرتفع منه الإختفاء لأن الظلمة وسوادها أثرت على وجه الأم، أو قد ترتفع درجة السواد بل قد تصل إلى الحزن الشديد، وذلك إن اشتداد النخيل وجمعها (إدلهم مع الغروب) يجني منه الشاعر السواد والتحول من البياض النهار إلى القتامة والسواد.

وكان السياب في ذلك رسم صورة حبيبته ضمن لوحة مرسومة بالسواد (الظلام) المرتبط بالحزن في انعدام الوصول إلى الأمل . حيث فسر الفكرة خلال تشبيهها بوجه الأم** . لأن عدم توافر الأم يستقي منه التيه والضياع المرسومين في هذا التشبيه، "ولقد تضافر هذا اليتيم المبكر مع مواضعات البيئة المستقرة على الردع والكف والكبح المتخوفة من الحب تخوفها من ممارسة الحياة في الهاب شعور السياب بالوحدة والحرمان"(٥) فالصورة التشبيهية أصبحت ثيمة للإطمئنان وهو كل مايحتاجه السياب؛ لأن الوجوه الحاضرة في المقطع (الأم، الوطن، الحبيبة) تساوي الفرح والحنان والإطمئنان. لكن الظلام لعب دورا مهما في اختفاء كل ما يحمله الشاعر من أفكار وآمال، كما نجحت الصورة في ارتفاع حرارتها ووصولها إلى قلق حقيقي وذلك خلال تعزيز وظيفة السواد (الظلام) في ازدياد رائحته من اشتداد سواد النخيل حين ينكشف الليل ستائره السوداء؛ لذلك أصبح الظلام رمزا لليأس وإضافة الحزن الملفوف بالشاعر.

وفي تواصل مع النصوص نرى أن (الظلام) يشترك مع (الليل) ليرمز إلى عدم الإستقرار والقلق:(٦)

فاستيقظ الموتى عطاشى يلهثون على الطريق!
وتدفع السرب الثقيل،
يطفو ويرسب في الأصيل،
لجبا يرنق بالظلام على القبور الباليات
وظلاله السوداء تزحف، كالليالي الموحشات
بين الجنادل والصخور

والذي نلاحظه هنا تم اشتراك أكثر من مفردة لونية للون الأسود لمشاهدة المقطع في صورة قاتمة، ومن أجل تكملة صورة الموتى حضرت العناصر اللونية من (بالظلام، القبور، ظلاله، السوداء، كالليالي)، وتراكمت الصور لكي يشبه السياب الظلال السوداء بالليالي الموحشات التي يهرب منها الشاعر علنا وخفية، أي أن وجه الشبه يتمثل في الغربة والإبتعاد؛ والذي من خلاله يستقريء من الليالي الموحشات انعدام وصول الموتى إلى المقصود وشاطيء الأمان. ومن أجل تثبيت ذلك حاول جمع أكثر مفردة لونية في مقطع واحد كما أن الحالة الشائعة هي توفير عنصر لوني واحد في مشهد أدبي واحد، لكنه قد يحول الصورة إلى مزج بين مجموعة مفردات للون الأسود لتقوية جسد النص وتعزيز المعنى المراد توصيله ويظهر براعته في التفن لتشكيل النصوص.

وفي مقطع آخر شكل رمزية اللون الأسود في (الليل) ليشع منه السواد والعدم:(٧)

إنها ليلة العرس*** بعد انتظار!
مات حب قديم، ومات النهار
مثلما تطفيء الريح ضوء الشموع

الشموع، الشموع[****]،
مثل حقل من القمح عند المساء،

في هذا المقطع ثبت السياب تعجبه من الوصول إلى محطة الآمال واستجابة الفرحة، وهذا ما يقرأ في ظاهر المشهد، أما المعنى الرمزي الذي تبطنه (الليلة) فإنها تفيد العكس؛ لأن ليلة العرس هنا يموت فيها الحب والضياء (البياض)،

وأوصل لوحته إلى تحقيق الجودة فيها خلال تواصل وظيفة اللون الأسود المرفق بالليل وذلك بإعطاء إمكانيتها في تدمير الآمال ودعم الشر وتعميم العتمة، إضافة إلى إطفاء الشموع المضيئة، فأنجبت اللوحة صورة أخرى خلال تشبيه الليلة (مثل حقل القمح عند المساء) بصورة القمح في المساء عندما تكون كثيفة ومخيفة وتصدر أصواتا إثر هبوب الرياح، ومن هنا " تتعدى دلالة اللون نطاقها الوضعي المطابق إلى ما هو أعم من حيث تتسع دائرة إيحاء اللون للتفسير والتأويل بتضمنها معاني ورؤى أعم من المعنى الوضعي"[٨].

ومن هنا قد يشعر القاريء في هذا الوصف القلق والتوتر والحركة لوجود خلق التضاد بين البياض (العرس) والسواد (عدم وجود العرس)؛ إذ إن السياب تأمل في ظاهرة صورة العرس الحقيقي الذي من الأولى أن يحقق ولكن في الباطن لا وجود للعرس ولا لأي شيء يفرحه أو يسعد الآخرين، وكابد لإكمال نظرته التشاؤمية في أن كل ما يريده الفرد هو ضد ما يعطيه الواقع له وليصرح علنا بعدم تحقيق الأمنيات.

كما أن (مات حب قديم) يعني أنه مات بغياب الأهل جميع الذكريات، وكل الأفراح، حب المكان، حب الأهل، حب الفتاة،... وكل شيء يتجلى تحت تسمية الحب.و (مات النهار) ماتت الأيام الجميلة بذكرياتها وفرحتهاولكن مع بداية ليلة العرس تبدأ الأيام أجمل. ولتدل على الإنكسار والتشاؤم وتداعي الفرح أحيانا رغبة لإحياء القديم، فضلا عن أن تكرار (الشموع) تأكيد على انطفاء مراسيم الحياة بحلول الظلام إضافة إلى الخوف الذي يعتليه السواد في جوفه من ظلمة ووحشة. والتشبيه ب (حقول القمح عند المساء) جاء دالا على وجه الشبه في الخوف والوحدة.

إن قصيدة (تموز جيكور) تنطبق فيها ذات الشاعر مع العتمة لكي تتخذ الأسطورة " مسارا خاصا في ذهن الشاعر لتكون رمزا متصلا بتجاربه الخاصة"[٩] ليقرأ عالم اليوتوبيا مرة أخرى[١٠]:

وتقبل ثغري عشتار،
فكأن على فمها ظلمة
تنثال علي وتنطبق،
فيموت بعيني الألق
أنا والعتمة[*****]..

تحول مشوار الشاعر إلى عالم الأسطورة للبحث عن السعادة المخفية وشمس غابت عنه من أجل التخلص من الليل والعتمة، وكابد لاستعادة جيكور منبع البراءة ومكمن اختفاء الهموم، فالتصوير الفني في هذا المقطع يتكون في كتابة هذه السطور وتلوينها بالألم الموجود هناك (عالم الأسطورة)؛ فانتهى تلوين لوحته إلى صورة قاتمة، وذلك باشتراك (الظلمة) ليرمز إلى السواد وانطفاء الأمل في فم عشتار، إذ إنه في هذه المحطة لا يعثر على شيء فالتواصل والإستمرار يصله إلى نقطة التشاؤم والتأزم المستمر؛ لعدم تمكن ذاته من التحرك؛ ولتقوية الفكرة وتكبير حجم الإنضمام إلى نفسيته المشدودة وإظهار وهنه عن طريق تساوي الظلام مع وقت العتمة، ليغذي ذاته سوادا أكثر ويعزز الظلمة المتفشية عند عشتار.

ومن هنا أصبح العيش مع السواد عادة يومية وعقدة تتكرر كل يوم، بل يترك آثاره على أفكاره وتأملاته، ووصول الشاعر إلى سواد كثيف (العتمة) يستنبط منه حجب الفرح والسرور عنه، فضلا عن أن هذا يؤشر موقف السياب من الزمن الذي ينتمي أحيانا إلى الدمار والهلاك الكلي الذي قد يعم العالم؛ أو قد يستقريء منه مواجهة الموت الذاتي الذي يطل عليه خلال المرض(١١).وحينما يتكلم مع جيكور فإنها _جيكور_ تحاكي إنسانا ينطق بكل ما حدث؛ ليرسم خطوط الليل وسواده(١٢):

جيكور، جيكور، أين الخبز والماء؟
الليل وافى وقد نام الأدلاء؟
والركب سهران من جوع ومن عطش
والريح صر، وكل الأفق أصداء
بيداء ما في مداها ما يبين به
درب لنا وسماء الليل عمياء

نلاحظ أن الشاعر أظهر جيكور في صورة تشخيصية حيث أنها كائن يجلب الخبز والماء؛ أما الآن فأصبح السياب يرمي حيرته على قدرة إعطائها . جيكور . العيش للمقابل، ويكون اليأس المصدر الأساس الذي ينتمي إليه (الليل، سماء الليل عمياء)، كما خص اللون الأسود والرمز المرتبط به بواسطة العودة إلى التشخيص (الليل وافى، سماء الليل عمياء). ولقد وجه الشاعر نظراته إلى الليل ليرمز إلى مساعدة الشخص الجائع والعطشان، لكنه يبقى في التيه وعدم الوصول إلى جواب محدد ليسجل النص أعلى درجة القلق؛ ولترمز (السماء العمياء) إلى الضياع والتيه . بل يعلو فيه درجة القحط وانقطاع سقوط المطر . لأن السير في الصحراء القاحل (بيداء ما في مداها ما يبين به) يحتاج إلى بصيرة، ومن هنا حاول السياب أن جعل المفردات تلعب دورا متنوعا لتأدية المعنى المقصود سيرا على طريقة الرومانسيين لأنهم يتوسعون "في استخدام الألفاظ استخداما يقوم على تراسل الحواس، فيتحدثون عن سكون الشمس، وبياض اللحن وعطر النشيد، ويشخصون الجمادات والمعاني المجردة، ...ويمعنون في التعاطف مع المدركات والمعنويات حتى يبدو أنهم يفنون فيها ويذهلون عن ذواتهم"(١٣).أما الليل فإنه أبخل من أن يعطي التائه الضياء؛ لأنه فاقد البصيرة بسبب فقدان النجوم التي قد تتحول إلى خريطة كونية تساعد الغرباء .وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أن الليلة المظلمة التي فقد فيها الشاعر ذاته تساوي حالة الشخص العطش والجائع اللذين لا يملكان سوى العدم والضياع، وربما نستقريء فيها عدم امتلاك المواطنة والهوية لدى السياب بدلالة أن الليل لم يوف بعهده في إعطاء الضوء وأن السماء الزرقا ء سوداء تماما، ولذلك فهو لا يدري كيف يصل إلى موطنه ومكانه الأصلي، وتمخض هذا الحدث الرجوع إلى الماضي ليستئنس بالذكريات الدفينة، و"لم يكن انشداد السياب إلى الماضي انشداد تشبث وخوف، بل كان انشداد حنين المغامرة لن تفضي إلى فراغ"(١٤).كما أن الظلمة الموجودة في (الليل و عمياء) ترمزان إلى فقدان الأمل وقطع البياض والتيه في الآن كما أنه لايرى مستقبلا مشرقا وسط الظلمة التي يحلم الشاعر بها. فلطالما أصبح الليل مثلا مصدر إزعاج على الشاعر الجاهلي وخصوصا امرؤالقيس لطوله؛ وأصبح مصدرا للموت والعناء على السياب فهو يدور في سواد الليل حيث صار شبحا خفيا يخطفه كل يوم؛ ولم ير قسطا من الحظ والتوفيق ضمنه إلا إذا إلتجأ إلى منبع آخر ليتخلص من السواد المنسدل عليه في تجوال عمره. وحينما يتجول السياب في عالم الأسطورة ترمز المفردة اللونية (الدجى) في شعره إلى الهدوء والخير(١٥):

حينما يزهر التوت والبرتقال،
حين تمتد "جيكور" حتى حدود الخيال،
حين تخضر عشبا يغني شذاها
والشموس التي أرصفتها سناها،
حين يخضر حتى دجاها،
يلمس الدفء قلبي، فيجري دمي في ثراها.

وهكذا يصل الشاعر إلى الفرحة الغامرة وغرس الأمل وانتشار الإطمئنان على جيكور والتي سجلت نقطة إيجابية لتشرح الصورة إحساسه أمامها؛ إذ هو وصفها في لوحة تعبيرية ربيعية مخضرة (يزهر التوت، تمتد جيكور، تخضر عشبا، الشموس)، وتصل الفرحة أعلاها عقب وصول الدجى إلى الإخضرار والتخلص من ثوبها الأسود ليرمز إلى الهدوء والإطمئنان وتبدل الدجى لونها إلى الأخضر الذي يرتاح النفس بالنظر إليها.

فالمشهد الفني في وصف سحرية جمال جيكور تم عرضه في هذا المقطع الذي أحياها في أغلى ما يتمنى الشاعر الوصول إليه ضمن الأسطورة، والرجوع إلى ماضي مضيء أبيض؛ لكي يصل "إلى حالة من التوحد والإندماج مع قريته، تشبه حالات التوحد عند الصوفية"[١٦] كما أن اختيار الدجى بدل الليل أو القبر يرجع إلى أن الشاعر أراد التمركز والتحدق إلى الأشد سوادا (الدجى)، كما أن التحول – الدجى- من لونه الأصلي انتصار التفاؤل على اليأس، وإظهار أهمية رؤية جيكور في هذا المظهر الجميل الخلاب، وهذه نظرة مقيدة بالماضي الطفولي المشرق للسياب ولا يتوقع حضوره في هذه الهيأة المرسومة لها في الحاضر إلا في هيئة إسطورية أو خيال، أما التقيد بالطفولة وجيكور خصوصا فهو يختص برومانسية المكان القديم، هذه الرغبة الدفينة التي تنقلنا متجاوزة المظاهر الحديثة إلى مكوناتها الميثولوجية؛ لتقذفنا في البقعة الخفية التي نستحضرها للمكان القديم ثم نعيد تشكيلها كي نرضي أنفسنا عما نبحث عنه في أمكنتنا الجديدة[١٧]. وهذا لا يعني عجزه عن المحاولة للخروج من هذا اليبس والشؤم إلاّ أنه عانى من أجل تحويل الحالة إلى شاشة بيضاء خلال العودة إلى ماضيها المشرق في مرحلة الطفولة، فيجد هناك (ليالي جيكور المقمرة، إخضرار الدجى) فيغمر اللون الأسود بالفرحة والسرور ولكن سرد هذه الأحداث كان حلما زائفا لذلك يسرع التفاؤل بالزوال؛ لأن ليالي جيكور أصبحت ماضيا فائتا، وإنه لا يلتقي بالإخضرار والهدوء إلا في عالم الأسطورة التي ليس لها مكان سوى خيال الشاعر.

الرمز اللوني المكاني:

المكان هو المساحة المادية التي تجري فيها الأحداث؛ بل إن العلاقة الوطيدة بين المكان والانسان يعطيه يدا للمؤانسة والإطمئنان، ولطالما يسترجع الشعراء الذكريات المخفية المرتبطة بمكان محدد،" وقد يصبح المكان جزءا من التجربة الذاتية بعد أن يفقد صفاته الواقعية ارتباطا باللحظة النفسية التي تمر بها الشخصية فيضيق أو يتسع أو ينهار"[١٨].

أما السياب فثبت ارتباطه بالمكان الذي عاش فيه منذ الطفولة (جيكور) وحقق غربته بإعلان المقاطع الشعرية التي يصرخ فيها لعل الوطن يسمع نداءه. لكن البحث اقتصر على إختيار الأمكنة الملفوفة باللون الأسود من (السجن، القبر، الكهف، اللحد، الظلمة) لتحاكي فضاء سلب الحقوق ودفن أمل الهروب من الغربة ورفض الظلم الذي يخيم على المجتمع، ومن خلاله نقرأ الأبعاد السيكولوجية المرتبطة بالشاعر، "ومهما

يكن من أمر، فإن الرمزية اللونية وعلم النفس اللوني مبنيان ثقافيا على روابط تختلف باختلاف الزمان والمكان والثقافة، وقد يكون للون الواحد رموز مختلفة جدا، وآثار نفسية متنوعة حتى في نفس المكان"[١٩].

وفي أول وهلة للفرحة إصطدم التفاؤل بسواد عميق لكي يتأرجح بين فينة وأخرى[٢٠]:

ويضيء لي . وأنا أمد يدي للبس في ثيابي .

ما كنت أبحث عنه في عتمات نفسي من جواب

لم يملأ الفرح الخفي شعاب نفسي كالضباب؟

اليوم . واندفق السرور علي يفاجئني . أعود!

قد أفاد النص تفاجؤ الشاعر بالرجوع وانتهاء غربته والحالة السيئة التي يعيش فيها، وكما يقرأ فيه التوتر بين حالة وأخرى؛ فشكك في أن يرجع إلى بلده أم لا؟ وأوقع نفسه في تساؤل والحيرة مع البحث عن الجواب النهائي.

والصورة الفنية المرسومة في المشهد تكون أكثر عمقا خلال استعمال علامة الإستفهام (؟) وعلامة التعجب (!)؛ لأنهما يشدان من حيرته وقلقه للبحث عن العودة، وتكملة مشوار القلق وخوفه من ذاته؛ لأنها أصبحت مكمنا للعتمة والسواد، فالعتمة . وفق هذا النص . مكانها نفسية الشاعر وسريرته المشدودة بل أصبحت دارها النهائي والثابت.

إن الصورة الرمزية للون الأسود (العتمة) كانت حماية قوية لثبات القلق وتسجيل أعلى درجات له؛ لأنها ترمز إلى التشاؤم والضياع، كما "أن الرمز الذي يحمله اللون، يشير إلى معنى أي أن المادة ترتقي في عملية الخلق الفني إلى مرتبة عالية من الإستحالة لأنها تتحول من شكل مرئي إلى معنى، إلى عنصر جمالي بحت".[٢١]

كما أن الشاعر لا يبحث عن جوابه . في أنه هل يرجع أم لا . في نفسه المعتمة، ولكنه في أرضية الواقع لا يستطيع الهروب منها عتمتها، إنه يؤكد ذلك خلال شيئين:

١. إن عملية الرجوع إلى بلده مجرد خاطرة (يفاجئني، ومشاركة علامة الإستفهام والتعجب).

٢. إن حياته السيئة ترشده إلى أن يقتنع بنهاية غير جيدة وهي الثبوت على عدم رجوعه، لعلة المصاب بالفقر ومغامرة الحصول على المال، حيث يقول[٢٢]:

وا حسرتاه.. فلن أعود إلى العراق!

وهل يعود

من كان تعوزه النقود؟ وكيف تدخر النقود

وقد يكون الوقوع في مكان مظلم عدوى لا محالة منها، حيث يقول[٢٣]:

فأمامك وحدك أقدر أن أغتاب الناس بلا استثناء

بالله تعال

فالناس كثير.. والظلماء

نقالة موتى سائقها أعمى، وفؤادك جبانه.

انكمش النص في شطآن الهموم والوحدة، فاستعاد السياب خوفه من الغربة ووسع من فضاء الخوف وخطورتها خلال مشاركة اللون الأسود (الظلمة)؛ وتمكن من تشبيه هذا المكان المظلم بالشخص الذي يسوق

النعش (نقالة موتى) ليرد الأمانة إلى مكانها الأصلي (القبر)، فتضاعف السواد مع مشاركة لفظة (الأعمى) في نقل الموتى ليرمز إلى الوحدة وعدم الإستقرار.

كما أن الموقف يعلو فيه التعتيم والقتامة بمواجهة النقالة والذي أعطاهم ـ الموتى ـ نصيبا أكثر بؤسا خلال سيطرة سائق فاقد البصر، وهذا يدل على أن عدم الثبوت والغربة سيترافقان الموتى وبذلك يتم نقلهم إلى مصير ضبابي غائم لا انجلاء له. ومن هنا بنى السياب جدار الوحدة إلى أقصى حد ممكن والغربة (بالله تعال)، وإن التساوي بين مكان مظلم في الحياة وسائق أعمى خلق سيطرة عدم الإنتماء إلى مكان محدد؛ ليلقي فيه بؤسه وشقاءه؛ ليصنع إطارا يحدد فيه نظرته تجاه الحياة (الحاضر) والمستقبل الخاليان من كل ما يتمناه الإنسان.فضلا عن أن اللون الأسود المخبوء في لفظة (الأعمى) قد يستقام فيها العلاقة السيئة بين القائد الذي يقود الناس إلى مكان غير معروف ليلتقط السياب في الحدث فقدان مستقبل الشعب وآمالهم.

وفي قصيدة (قافلة الضياع) نجد بؤرة الجمع بين (القبر) و(الكهف) ليرمزان إلى الظلام والسواد والتشرد وفقدان المأوى[٢٤]:

فاليوم تمتليء الكهوف بنا ونعوي جائعين
ونموت فيها لا نخلف للصغار على الصخور
سوى هباب ما نقشنا فيه من أسد طعين!
ونموت فيها لا نخلف بعدنا حتى القبور
ماذا نحط على شواهدها؟..أ. "كانوا لاجئين"؟
اليوم تمتليء الكهوف بنا : تظلل بالخيام
وبالصفيح، وقد تغلهن بالآجر دور
والنور كالتابوت فيها، ليس سوى ظلام.

تم بناء فكرة النص على تصوير حالة اللاجئين وفي هذا سجل السياب معاناتهم وما يحتاجونه من المأوى، والأكل، وإن تحديد (الكهف) بدل مكان آخر يرمز إلى التشرد والضيق؛ لأنه يحتوي مساحة ضيقة وعدم إمتلاك أي حقوق إنسانية؛ كما أنه مكان أشد سوادا ومظلم في الأساس لا نور فيه؛ ولكي يؤكد خلاله أهمية اتصال الفرد بمسقط رأسه وبالبيت الذي يطمئن فيه؛ لإنه "واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية ومبدأ هذا الدمج هي أحلام اليقظة .....فبدون البيت يصبح الإنسان كائنا مفتتا"[٢٥].

فضلا عن أنه لا يحرم الموقف من العودة إلى عقدة الخوف من الموت وتكرار الحرمان من قبر يأوي اللاجئين سوى الكهف (لا نخلف بعدنا حتى القبور)، وإذا أجرينا المقارنة بين سواد القبر والكهف، فإنهما يتساويان في درجة السواد لكن نقطة المفارقة بينهما هو إمكانية إضاءة الكهف بوسيلة من الوسائل لكن القبر يستحيل فيه ذلك، ورغم ذلك يتضح تفضيل القبر على اختيار الكهف وهذا يستنبط منه شيئان:

١. إن القبر يمثل الإنتماء إلى مكان مستقر بعد الموت، أما الكهف فهو ليس المصدر الأساس لاحتواء الموتى لذلك لا يعده الشاعر من الأمكنة الثابتة التي يبحث عنها.

٢. كما أشرنا سابقا أن القبر يستحيل إضاءته أي مظلم ومعتم على الاستمرار، وهذا يرجح تفضيل السياب للسواد دون انقطاع وهذا ينعكس على سلبية التفكير والتشاؤم، على الرغم من ذلك فإن القبر أصبح شيفرة يفسر تشاؤمه وهذا ليس ببعيد عن تعميم هذه النظرة إلى نظرة جماعية يشاركه فيها الآخرون ليعم الخوف

والقلق على المجتمع العراقي البائس بل ربما على العالم بأسره إعتمادا على القتل والخراب المتفشيان في العالم.

وانتهى المقطع بتعارض ضدي بين اللونين (الأبيض: النور) و(الأسود: الظلام) لإعادة المعادلة الفلسفية القديمة في المنافسة بين المتضادات، حيث شبه النور بالتابوت في الكهوف (والنور كالتابوت فينا) ليرمز إلى دفن النور وموته، وخلال ذلك أعلن السواد سيطرته وسيادته ليعم سواد الكهوف؛ ولكي يستدل على قطع الأمل والنجاة وتحويل المستقبل وتلوينه إلى السواد والعتمة. كما أراد الشاعر إظهار الواقع الموجود التي عكس من خلالها مأساة الضياع التي عاشها ويعيشها المجتمع في بحثه عن حل لمشكلاته الخاصة ومشكلات الإنسان اطلاقا.[٢٦]

وفي إعادة قراءة النص نلاحظ أنه مليء بعلامات الترقيم من (الفارزة، قوسي التنصيص، علامة التعجب، علامة إستفهام، وترك النقاط بين السطور)، وقد إستفاد السياب منها لتساعد الرمز اللوني الأسود وإضفاء جمالية عليه؛ كما أنها . الرموز . إعتراف صريح على وجود أفكار باقية في تأريخ سيرته وأشياء لا زالت تتأرجح في ذهنه، والبحث عن ما فقده في متاهات يستحيل الخروج فيها.

ودخلت المفردة اللونية (السجن) لتمتزج مع معاناة الحياة، فأصبح السجن شيفرة تخرج منها بؤرة التشاؤم والتفاؤل معا[٢٧]:

تقولين "نحن إبتداء الطريق .
ونحن الذين اعتصرنا الحياة:
من الصخر تدمي عليه الحياة
ويمتص ري الشفاه،
من الموت في موحشات السجون؛
من البؤس، من خاويات البطون؛
لأجيالها الآتية.

إن سرد قصة وحوادث الحياة لم يخلو من مشاركة اللون الأسود (السجن)، فأصبحت الحياة قلادة تلمع بالخرزات السوداء والحمراء (الموت)؛ كما أن الحبيبة استمرت من ذكر المعاناة لكي تتعمق بئر التشاؤم، وانطباع ذلك بصمة في عرض فكرتها خلال الإشارة إلى عنف الحياة وقسوتها تجاههم، أما المفردة اللونية (السجن) فإنها تكمل الفكرة نفسها لترمز إلى ضيق العيش وسوادها والإنحباس، والإغتراب.

إن الإلتفات إلى النص يقودنا إلى أن نحكم على أن السجن وسواده خلق ضغوطا نفسية على الشاعر ليتمرد على الواقع المزري، وهذا الذي جعل التفاؤل يأتيه بين حين وآخر نتيجة انتصارهما (الشاعر والحبيبة) على معاناة الحياة وستارها الأسود؛ لأنهما أقوياء وبإمكانهما السيطرة على الحياة القاسية.

وقد إختصر الشاعر الحياة في هذه السطور المكتوبة فضلا عن إضافة الصراع الموجود بينه وبين الحياة القاسية؛ وانتشر فيها – السطور– أزمته النفسية القلقة والتغلغل بين الإنتصار والإنهزام والتشاؤم والتفاؤل والإيجابية والسلبية معا في السجن (الحياة) المرسوم له. كما أنه تجسد في الكلمات (الموت، السجن، البؤس) دلالة على الحزن والإنهزام، والتدهور النفسي، فاندماج الدلالات المكانية والمعنوية عبارة عن حالة اندماج المشاعر المتعاكسة في نفس الشاعر، مشاعر يعجز عن رصفها علنا لذلك يرسمها في قوالب لترسم لوحة قمة في الحزن والضياع.

وفي إلتفاتة عميقة إلى الماضي تم عرض تأريخي فات زمنه، عبر عرض أسطوري تجلى القبر فيه؛ لمشاركة البؤس والخوف حيث نجد ذلك في قصيدة "حديقة سندباد"(٢٨):

كأن بابل أغلقديمة المسورة

تعود من جديد،

قباتها الطوال، من حديد

يدق فيها جرس كأن مقبرة

تئن فيه والسماء ساح مجزره******

إن جولة الشاعر الخيالية في مدينة بابل جعلته يدخلها في قالب يصعب العيش فيها؛ وكأنها مسدودة الطرق حديدية القبة، حتى نقطة وصل إلى تشبيه الجرس بالمقبرة، ومن هنا لعبت المقبرة دورها في انعدام العيش وترمز إلى الموت واليأس في المعايشة داخل هذه المدينة، وفي تشبيه الجرس بالمقبرة حقق خلو المدينة من الناس أي كما أن القبر يحتضن الناس ويغمرهم في مساحة ضيقة سوداء هكذا أصبح الجرس، أي إنه – الجرس– ضاق بهم ذرعا، وإن تحول إلى جرس إبكم وهذا أصبح ذريعة يكمل خلوالمدينة ويأسها المنتشر عليها. وحاول السياب استغلال الدلالة الرمزية في الأسطورة بعد نزع تفصيلاتها الأسطورية والإبقاء على الدافع الرئيسي فيها، وتحويلها إلى نبض داخلي يتخلل القصيدة(٢٩)،

بل تحول إلى عالم الأسطورة والخيال ليرى فيها ذاته المشدود جراء تصوير مدينة بابل، فهي كأنما رجعت ولكن بمصاحبة قباءها الخالية الخيالية وقبورها الكثيرة، لذلك كانت المقبرة تحمل بلونها الأسود السكوت والهدم والخراب.

وقد يكون الظلام المرمز بالسواد يساوي كل الحياة(٣٠):

والقمح ينضج في الحقول من الصباح إلى المساء

وبأن يلص فيقتلوه..(وتشرئب إلى السماء

كالمستغيثة، وهي تبكي في الظلام بلا دموع

حين النظر إلى الأسطر الثلاثة أعلاه نلاحظ في إطارها العام تروي قصة المومس العمياء جهارا، في حين يدفن تحتها معاناة الشعب وآلامها ليلقي نظرته الثورية فيها، فضلا عن أن اشتراك (الظلام) حول هذه الأفكار إلى الشفقة تجاه شخصية المومس التي كبرت في السن وأصبحت تغمر في وحدتها بعد موت أبيها، أما السياب فوضح الحالة أكثر باقتران العبارات المساعدة للظلام _ من المساء، القتل، البكاء_ التي أصبحت جزءا من حياتها؛ ليرمز (في الظلام) إلى الوحدة والتشرد.وفي رسم لقطات حياتها أعاد الشاعر رسمها خلال مشهد سوداوي لأنها تبكي في مكان مظلم دون جدوى (دون دموع) وهي محرومة من الإستغاثة والمساعدة؛ حيث إن هذه الشخصية "تتخذ جوهرا سايكولوجيا وتصير فردا (كائنا إنسانا) حينا وتتحول إلى نمط اجتماعي يعبر عن واقع طبقي، يعكس وعيا آيديولوجيا في المنظور الإجتماعي"(٣١)، كما تؤلف القيم الاجتماعية والدينية والاقتصادية والجمالية جانبا هاما من شخصية الفرد، وتؤثر في إدراكه وسلوكه؛ لكونها . القيم . تتضمن أحكاما عقلية وانفعالية عن العالم الإنساني والاجتماعي والمادي الذي يحيط به(٣٢).

وأحيانا تخرج القبور لتمتزج بالصورة الرمزية السوداء من جانب مع إعطاء التفاؤل للشخص الذي يحفر القبر من جانب آخر(٣٣):

وعلى القبور!

وتنفس الضوء الضئيل
بعد اختناق بالطيوف الراعبات وبالجثام،
ثم ارتخت تلك الظلال السود وانجاب الظلام:
فانجاب عن ظل طويل

يلقيه حفار القبور:
كفان جامدتان، أبرد من جباه الخاملين،
وكأن حولهما هواء كان في بعض اللحود
في مقلتيه جوفاء خاوية يهوم في ركود
كفان قاسيتان جائعتان كالذئب السجين،

إنتصبت اللوحة لترسم فكرتين، حيث بدأ الشاعر بعرض مشهد القبور الملفوف باللون الأسود، والذي يشد عضدها . القبور . هو مشاركة مفردات لونية أخرى من (الضوء الضئيل، الظلال السود، الظلام، الظل) والتي تحاكي كل منها اللون الأسود وتجتمع الكل لترمز إلى الهلاك والدمار وسفك الدماء؛ لذلك شكلت الفكرة الأولى لترسم بصمة سوداء في مرسم المظلومين، والذي يخلف وراءه الدمار وقتل الناس الأبرياء؛ بل يمثل تحول الحياة إلى نقطة جامدة سوداء تديرها طاحونة الدمار والهلاك.

أما الفكرة الثانية –هي التي تكمل اللوحة– فتمت خلال الإرتكاز على حفار القبور والذي أصبح مصدر للتشاؤم والخوف، فجاهد صاحبه من أجل الحصول على مبلغ من المال وأصبح القتل مصدرا للعيش له، وهذا يشرح فكرة مفادها أن كل ميت جديد هو سيرسل التفاؤل لحفار القبور؛ لأنه مصدر إزدياد المال له، بل هذه العميلة يعطيه الراحة النفسية وقسطا من الأمل. وهذا يعني أن الجانب الثاني تم مشاركة اللون الأحمر(القتل) فيه المطلي باللون الأبيض (فرحة الحصول على المال جراء القتل). ومن الملاحظ اشتراك أكثر من لون في المقطع عمل لإيصال الفكرة إلى مكانها المرموق، وذلك خلال توزيع الرموز بين اللون الأسود (القبر، الظل، الظلام)، واللون الأحمر المخفي في أعمال حفار القبور (القتل)؛ بل أدى إلى توسيع فضاء المقطع وذلك بمشاركة الرموز اللونية المتعددة.

الخاتمة:

وفي النهاية استنتج البحث ما يأتي:

- تم ترتيب الشواهد حسب التأثير النفسي للون الأسود على النصوص، حيث كان اللون الأسود يتجول ليلقي النظرة على الهيأة التي يريد الشاعرطرحها، فشاركت النصوص في مفردة اللون الأسود في تحديد الرمز الذي يريده الشاعر طرحه على المتلقي، فعمم السواد والتشاؤم على الأمثلة بأساليب متنوعة ولطالما ردد همومه وتجاوز أحيانا في الإبتعاد عن العالم الحقيقي إلى عالم الأسطورة ، أو عالم المثال المختص به، لكنه لا يلبث إلأ أن يدب طالبا في بعث اليأس في مشواره. ولتكملة الصورة قد ينتهي الليل في صورة تشخيصية (الليل عمياء، الليل وافى، الليل زاد عماها)، ليشارك الليل في الظلم وصنعه، ولتعضيد هذه المعاني وتقويتها تم ربطه أحيانا بليالي الشتاء الطويلة (كالرعد ليل الشتاء، وهم ليالي الشتاء)، ليرمز اللون الأسود فيه إلى الحزن والطول.
- تظهر حالات في النصوص تشترك فيه بعض المفردات اللونية في الرمز الزماني والمكاني ويتمثل ذلك في (العتمة، الدجى، الظلام)، والذي يميزه ويحدد موقعه في الزمان أو المكان هو القرينة وكيفية بروزها في القصيدة؛ وهذا يؤثر على توسيع مساحة اللون الأسود وإضفاء موهبته الشعرية، بل أعطى جمالية لهذه العناصر في استخدام وإغناء المعجم للون الأسود.
- إن السياب لم ينس استخدام الأسطورة ليرجع إلى الهيكل الذي الذي نهل منه قصائده؛ ليرى رؤيته اللونية في هذا العالم، ومن هذا المنطلق نرى (عشتار وبابل) ليخرجوه من العتمة والبصمة السوداء التي خاط منها عيشه، ولعل مرده هو السير على العادة القديمة التي إعتاد عليها في استخدام الأساطير، وربما نستطيع أن نستنبط فيه تقوية الرمز اللوني الأسود أو أنه أراد اشتراك أكثر من تقنية فنية لتقوية الموقف.
- أما من حيث العدد فيأتي الليل في المقدمة ضمن الرمز اللوني الزماني، وكان القبر يسجل أكبر عددا ضمن الرمز اللوني المكاني، وهذا التقسيم يفسر تأثير هاتين المفردتين على ذاتية الشاعر وكتابة القصائد، حيث إن الليل أصبح في الظاهر قسيم السياب وشريكه في الهموم بل أحيانا يتحول إلى العدو أو المرض الذي لا شفاء له، ولطالما كان هو الباعث لخلق الهموم وجلب المشاكل لذلك يسجل اسمه في معظم النصوص.

أما القبر فإن تكراره في القصائد وتردده على لسان الشاعر فإنه يدلنا على توضيح حياة السياب المهمومة؛ إذ حبس نفسه حيث كان واقفا على حافة القبر بوصفه إنه حي ميت، ولم يكن اللون الأسود أقل أهمية في تخطيط الأبيات، لكن الحالة المسيطرة هي أن يخرج اللون عن عناء ومشقة وأن يسرد الأحداث حسب المواقف المخطط لروايتها، ونتيجة ذلك صار الرمز اللوني حليف الأفكار ويكشف الدلالات المخفية في ذهن الشاعر.فضلا عن أنه يعلن الوجهة النفسية للسياب بل يحمل إنطباعاته تجاه الحياة وهو بصدد قراءة سريرته لأنه يعد الكتابة الثانية لسيرته الشخصية.

- إن دراسة اللون الأسود والبحث عن الرمز الذي يحمله تكشف تشاؤم السياب وبؤسه والحزن الملصق به، فالسواد هو اللون القاتم ويشكل ثنائية ضدية مع اللون الأبيض، ولكن الواقع المقروء داخل الحالات المكتوبة هو أن البياض لا يستطيع أن يسيطر على السواد أو على الأقل يفتقد القدرة على الصراع معه، وهذا يرجع إلى اختفاء الأمل عنده والشعور بالوحدة في إعلان صورة الليل والقبر؛ فتحول الليل في إطار زماني محدد إلى حالة كونية مستمرة وإلى ظلام مستمر، إذ إنه لم يسجل نقطة إيجابية لهذا اللون الإ في حالات نادرة جدا، فوقع السياب في حفرة يقارن فيها بين الماضي (الأبيض) والحاضر (الأسود) مع

محاولة الربط بينهما؛ وحينما لم يصل إلى حل المشكلة وانتصار زمن الماضي على الحاضر وسيطرة السواد القاتم على الأبيض المشرق ليكون لنفسه عشا أسودا مبنيا على القلق والتشاؤم لإن إختيار اللون الأسود أصبح جزءا من تجربته الذاتية، بل يحمل نجاح الشاعر من استخدام هذا اللون خلال استعماله في صور فنية متعددة.

الهوامش:

* ينظر: (دراسة نقدية لعنصر اللون في أشعار بدر شاكر السياب/ الأسودو الأبيض نموذجا، نركس أنصاري و طيبة سيفي، مجلة إضاءات نقدية، السنة ٣، العدد ١١، ٢٠١٣م: ١٣١-١٤٦) و (دلالات اللون في شعر بدر شاكر السياب- ديوان انشودة المطر نموذجا، عبدالباسط محمد الزيوت و د ظاهر محمد الزواهرة، مركز اللغات، الجامعة الهاشمية، مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية، المجلد ٤١/ العدد ٢، السنة ٢٠١٤).

** والذي نلاحظه هو أن المرأة في قصائدها اتخذت دور الأم والحبيبة واتخذ منهما " في شعره رمزا للحرية والإنطلاق والحياة المفعمة بالسرور والمحبة، ولقد ركز السياب على جوهر المرأة كوجود، حيث اهتم بها كواقع إجتماعي، وإنسانة مقهورة تعاني كل أنواع الإستلابات"، ينظر: (المرأة في شعر السياب، فرج غانم صالح البيرماني، ١١٢).

*** تكرر ليلة العرس في قصيدة (مرثية جيكور) أيضا لتكون رمزا للخير والفرحة التي غمرت القرية، وكان استعادة هذا الماضي والذكريات السعيدة سيطرت على نفسه المهموم وشربت نفسيته المشلولة الفارغة من مستقبل مضيء، بل أصبحت هذه الليلة ثيمة لتجمع الأهالي والأقارب والذي أضاعه في الغربة، وفي ذلك يقول: ويل جيكور؟

أين أيامها الخضر وليلات صيفها المفقود؟

والعشاء السخي في ليلة العرس وتقبيلة العروس الودود وانتظار له على الباب؟، ينظر: (الأعمال الشعرية الكاملة، ٢١٩).

**** القصد من الشموع هنا هي الشموع المشتعلة في المناسبات أو بالأحرى هي الموجودة في مناسبة الزفاف ليمحو بها حضور هذه المناسبة وزوال الفرحة والسرور.

***** نلاحظ أن ظاهر الرمز اللوني للعتمة يفيد التفاؤل لأنه صرح بموت العتمة وهذا يعني زوالها والوصول إلى النور والبياض والإنفتاح؛ لكن التعمق في هذه الأسطر لا يفيد ذلك؛ بسبب انعقاد العلاقة بين الشاعر والعتمة وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أن ذاته أصبحت قطعة من العتمة لا ينفك منها (أنا والعتمة) كما أن موت العتمة يفسر موته وهكذا عيش العتمة يساوي استمراره في الحياة، ونستطيع القول عدم حضور

العتمة يعني عدم وجود ذاتية الشاعر لذلك موت العتمة لا أمل لانجلاء البياض فيه؛ لأنهما (ذات الشاعر والعتمة) متطابقان تماما ومرتبطان، فأصبح الآن في بحيرة سوداء لا مفر منها والعيش في الضيق والإنغلاق.

****** الذي نلاحظه في بعض النصوص هو استبدال لفظة (القبر) بـ (اللحد) وذلك في (من ظلمة اللحد: ٢٨٦) و (فتجحظ في اللحود: ٢٠٣) و (ظلام اللحود:٣٠٨).

١. اللون لعبة سيميائية- بحث إجرائي في تشكيل المعنى الشعري، د. فاتن عبدالجبار جواد: ١٠٤.

٢- الشعر والزمن، جلال الخياط: ٨٨.

٣- جماليات اللون في شعر بشار بن برد، صالح الشتيوي، مجلة أبحاث اليرموك: ١٠٠.

٤- الأعمال الشعرية الكاملة، بدر شاكر السياب: ١٨١.

٥- السياب، عبدالجبار عباس: ١٧.

٦- الأعمال الشعرية الكاملة:٢٨٧.

٧- م.ن: ١٩٤.

٨- الصورة الشعرية والرمز اللوني- دراسة تحليلية إحصائية لشعر البارودي ونزار قباني وصلاح عبدالصبور، د. يوسف حسن نوفل: ١٦.

٩- الرمز الأسطوري في شعر بدر شاكر السياب، د. علي عبدالمعطي البطل:١١٨.

١٠- الأعمال الشعرية الكاملة: ٢٢٣.

١١- إتجاهات الشعر العربي المعاصر، د. إحسان عباس: ٩٠.

١٢- الأعمال الشعرية الكاملة: ٢٢٩.

١٣- الرؤية الرومانسية في الشعر العربي، فايز علي: ٣٢.

١٤- الإيقاع والزمان- كتابات في نقد الشعر، جودت فخرالدين، ١٤٠.

١٥- الأعمال الشعرية الكاملة: ٢٤٦.

١٦-الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث-السياب ونازك والبياتي،محمد علي الكندي: ١٩٤

١٧- شحنات المكان- جدلية التشكيل والتأثير، ياسين النصير: ٢٠٨.

١٨- الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، إبراهيم الجنداري: ١٧٤.

١٩- الألوان- دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالتها، كلود عبيد: ٤٢.

٢٠- الأعمال الشعرية الكاملة: ١٨٤.

٢١- فلسفة اللون في الفن، نوري الراوي، مجلة أقلام: ١١٧.

٢٢- الأعمال الشعرية الكاملة:١٨٤.

٢٣- م. ن: ١٨٩.

٢٤- م. ن: ٢٠٥.

٢٥- جماليات المكان، جاستون باشلار: ٤٤-٤٥.

٢٦- أبعاد التجربة الشعرية عند السياب،طراد الكبيسي، مجلة أقلام: ١٠٨.

٢٧- الأعمال الشعرية الكاملة: ٢٠٧.

٢٨- م.ن: ٢٥٢.

٢٩- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، د. محمد فتوح أحمد: ٤٢٤.

٣٠- الأعمال الشعرية الكاملة: ٢٧٥.

٣١- مديات النقد الإجتماعي بين جبران خليل جبران وبدرشاكر السياب- مرتا البانية والمومس العمياء أنموذجا/ دراسة موازنة، د. صفاءالدين أحمد فاضل: ٥١.

٣٢- سايكولوجية إدراك اللون والشكل، قاسم حسين صالح: ٢١.

٣٣- الأعمال الشعرية الكاملة: ٢٨٧.

المصادر والمراجع:

أولا/ الكتب:

- إتجاهات الشعر العربي المعاصر، د. إحسان عباس، عالم المعرفة، الكويت، ربيع الأول ١٣٩٨هـ- شباط ١٩٧٨م.
- الأعمال الشعرية الكاملة،بدرشاكر السياب،ط٣،دار الحرية للطباعة والنشر،بغداد، ٢٠٠٠م.
- الألوان- دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالتها، كلود عبود، مراجعة وتقديم: د. محمد حمود، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- الإيقاع والزمان- كتابات في نقد الشعر، جودت فخرالدين،ط٢، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
- جماليات المكان، جاستون باشلار، ت: غالب هلسا، دار الجاحظ للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.
- الرمز الأسطوري في شعر بدر شاكر السياب، د. علي عبدالمعطي البطل، شريكة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت.
- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، د. محمد فتوح أحمد، ط٢، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٧٨م.
- الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث- السياب ونازك والبياتي، محمد علي الكندي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، بيروت- لبنان، ٢٠٠٣م.
- سايكولوجية إدراك اللون والشكل، قاسم حسين صالح، دار الرشيد للنشر،١٩٨٢م.
- السياب، عبدالجبار عباس، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق- بغداد.
- شحنات المكان- جدلية التشكيل والتأثير، ياسين النصير، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق- بغداد، ٢٠١١م.
- الشعر والزمن، جلال الخياط، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٥م.
- الصورة الشعرية والرمز اللوني- دراسة تحليلية إحصائية لشعر البارودي ونزار قباني وصلاح عبدالصبور، د. يوسف حسن نوفل، دار المعارف.
- الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، إبراهيم جنداري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١م.
- اللون لعبة سيميائية- بحث إجرائي في تشكيل المعنى الشعري، د. فاتن عبدالجبار جواد، ط١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع،عمان- الأردن، ٢٠٠٩-٢٠١٠م.
- مديات النقد الإجتماعي بين جبران خليل جبران وبدرشاكر السياب- مرتا البانية والمومس العمياء أنموذجا/ دراسة موزانة، د. صفاءالدين أحمد فاضل، ط١، دار أمل الجديدة، سورية- دمشق، ٢٠١٢م.

- المرأة في شعر السياب، فرح غانم صالح البيرماني، ط١،دار الشؤون الثقافية العامة، العراق- بغداد،٢٠٠٨م.

ثانيا/ الدوريات:

- أبعاد التجربة الشعرية عند السياب، طراد الكبيسي، مجلة الأقلام، العدد ٧، السنة السادسة، نيسان- ١٩٧٠م.
- جماليات اللون في شعر بشار بن برد، صالح الشتيوي، مجلة أبحاث اليرموك "سلسلة الآداب واللغويات"، المجلد ١٨، العدد١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- فلسفة اللون في الفن، نوري الراوي، مجلة الأقلام، العدد ١-٢، ١٩٦٤م.

ثالثا/الإنترنيت:

- الرمزية والرومانسية في الشعر العربي، فايز علي.kotobarabia.com

Symbolism of Black in Al-Sayyab's Collection of Poems "the Rain Song"

Abstract:

We live in a colorful world that is painted by lines of colors.Because we perceive colors as we canconceive life and its difficulties, colors reduce those difficulties andplant in our minds dreamsthat sometimessparkleand sometimes turnintoblack painting. Therefore, colors are like maps in our imaginations that we dye clothes, walls, jewels, and emotions with.Colors are everywhere; they are something that could be found in every corner of life. Concerning ancientnations; they participated in stating their impression toward every color for their importance.

This study is a contract between colors and the technique of symbolism through scrutinizing

the indirect use of colors, i.e. close examination of texts in which colors are used in harmony with symbols. The study is limited to the color black in contrast to whiteand its connotative meanings behind the curtain of symbolism. To reach the ideaAl Sayyab's collection of poems (The Rain Song) is chosen to be studied, for itsrichness with material that contains various cases of color black.

The study consists of abstract, introduction, and two main sections. The first section deals with the color symbolism of time such as night, dusk and darkness. The second one is about the color symbolism of place asgrave, cave, andprison. Finally, the study ends with concluding section plus list of bibliography.